



2 ديسمبر 2019
كتب: نور سعيد

هل يمكن أن ينبت الحرث في البحر زرغاً؟! وهل يمكن أن نصيد من الصحراوات الغفار سمكاً؟! سؤال غريب أو مجنون أليس كذلك؟

ولكنه سؤال يتردد بصيغ عديدة في بيوت كثيرة يعيش فيها أصحابها مدفوعين بالأمر الواقع، مجتربين لأجل عيون الصغار الأبرياء، وتتردد بين جنباتها أنفاس رجال ونساء يشعرون بالظلم ويقبلون أكفهم في الهواء، خاويةً من لمسات الامتنان ودفء الشكر!!

في كثير من بيوتنا المرأة تدور كمنحلة تؤدي مهامها الأسرية، ترعى الزوج والأطفال، تتسوق، تدبر مطالب أسرته في حدود دخل زوجها، تنظف.. ترتب.. وتطهو.. وترتق ثياباً.. وتهين فراشاً.. وتساعد صغاراً في حل واجباتهم الدراسية، وتنقذ أوامر الزوج وتتحري ما يرضيه، تدور وتدور، وفي النهاية لا تجني عسلاً بل ربما جنت المرّ العلقم في نظرة استخفاف بمعاناتها يرسلها نحوها زوجها أو في عبارة دلالتها عدم اكتراث بما تفعل، وعدم إحساس بأدبيتها، وعدم تقدير لجهدها، فتلقي نفسها على الفراش لتنسى العبن والغهر فلا تستطيع؛ لأن الدائرة مفرغة، والواقع يفرض نفسه كل يوم والشريك على حاله لا يهتم ولا يعين ولو بالكلمة الحلوة أو الدعاء.

وفي الجانب الآخر من الصورة رجال يشقون ويكدون ولا يسوفون مطالب رعبتهم، ولكنهم لا يجدون في نسايمهم سوى الجحود والكران.

وينحول البيت من واحة سكن ومودة ورحمة إلى ساحة صراع نفسي حاد، ويشعر الزوجان أنهما أسيران لواجبات لا تنتهي ومسئوليات تتضاعف يوماً بعد يوم، والطرف الآخر يتجاهل العون ويحط من شأن المشاركة.

ماذا يكون رد الفعل عندئذ؟! الأمر واحد من اثنين: استمرار العطاء والبذل وأداء الواجب كما ينبغي بنية صادقة، وابتغاء للأجر من الله، أو نكوص وتراجع ولا مبالاة بالمسئولية المتركمة وعقاب لا شعوري للأخر بإهماله وإهمال بيته.

رد الفعل الأول هو سلوك الخاصة من الأنقياء والتقيات الذين يؤمنون بأن الله عدل لا يضيع أجرًا بل يضاعفه ويجازي وينيب، ليس على العمل فحسب وإنما على النية أيضاً؛ ولذلك فهم ينتظرون منوبتهم من الخالق ويفوضون له الأمر في شركاء حياتهم.

أما الثاني فهو الأغلب، والذين يفعلونه ليسوا معوّجي الفطرة، ولكنهم ناسٌ معدورون، فالنفس البشرية جُبلت على ثنائية العطاء والأخذ، ويسعدها أن تشكر حين تعطي، والنفس السوية يسعدها أكثر أن تشكر حين تأخذ، وحين تختل هذه المعادلة تكون النتيجة تعاسةً وشقاءً وعدم إحساس بالجدوى.

وليس هناك تعارض بين أن نخلص النية لله وبين أن يؤدبنا نفسياً عدم إحساس من يشاركونا الحياة بمعاناتنا وعطائنا، فالتعب الجسدي يُخفف منه- بل وتزيله- لقطعة الشكر ورتبة امتنان وكلمة عتاب رقيق على تفرطنا في حق أنفسنا في الراحة!!

الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نُحبي من حباننا بأحسن مما حباننا أو بردّ تحينه والعطاء داخل الأسرة تحية لكل أفرادها، فلماذا لا يرد الزوج تحية امرأته ولا تُحبي الزوجة زوجها بأحسن مما أعطاه؟ وهل يرى الرجال أن إشعار نسايمهم بهذا الامتنان الواجب انتقام من رجولتهم؟! وتعتبر النساء أن شكر الزوج تفریط في أنوثتهن؟!

سئلة تغرّ قضية الشكر في علاقتنا الأسرية ومكانته ودوره في إنراء هذه الحياة بحب متجدد وطلاقة عطاء متزايدة.

مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله، هكذا علمنا رسولنا- صلى الله عليه وسلم- وفي سيرته الكريمة من المواقف ما يعلمنا كيف لا نفرط في واجب الشكر لله أولاً ثم لمن ساقهم هو أسباباً لراحتنا وخدمتنا، ثانياً وإذا كنا نردد أنه لا شكر على واجب فليس أقل من الاكتراث بمن يؤدون واجبه واحترام آدميتهم.

كيف تكافئ الحيوان بعد جهد يبذله بوجبة شهية أو ربتة حب على جسده أو ربما قبلة وننسى أن نفعل ذلك مع بشرٍ مثلنا.. أليس هذا أمرًا محيّرًا ومزعجًا؟ وأليس مما يصدم الجاحدين والجاهدات أنهم فرطوا في حق الله بالنفريط في حق عباده؟!

جراكم الله خيرًا.. لا حرمننا الله منك.. قدّرنى الله على ردّ جميلك.. سلّمت لي يداك.. عباراتٌ يجب ألا يخلو منها قاموسُ معاملاتنا اليومية، نطلقها لا يكلفنا كثيرًا، وبمنحنا من المنوبة ما لا ندرك مداها، بينما تجاهله يبني بيننا وبين شركائنا أسوارًا من الجفاء وعدم الإحساس بالأمان ويجعلنا نؤدي مهامنا بآلية كريمة فتسكن أفواهنا دائمًا مرارة الجحود بدلاً من حلاوة الشكر!!

www.ikhwanonline.com/article/237680